نقطة!...

بما اشرنا له في مفتتح صفحات العدد السابق ها نحن نحاول الماضي في امكانية تقديم ماهو مراد وجميل لجهة المستجد من الموضوعات والثابت منها نسبيا . ولكن لاباس من القول ان عدد صفحات الدائرة الثقافية كما يلمس القارىء محدود ! .. والتعامل مع « المحدود» ازاء المادة المطولة يعني التماس اكثر من وسيلة شرطان تصل تلك المادة او هذه الى القارىء .

وهذا لايعني : اننا نتفاجىء بالمادة . باعتبار ان الدائرة الثقافية قد اخذت على عاتقها الوصول الى مايمكنها من اضاءة اكثر من جانب ، بالصيغ التي تكفل النجاح ..

وهكذا .. تحاول الصفحات الثقافية ان تطل على قارئها وخلال الفترات القادمة — خلال كل شهر — ان تستضيف ملفا محددا بشان عدد من المواضيع المقترحة والمطروحة والتي تمس الهم المعرفي العام .

وفي عددنا هذا نحاول اللحاق بمناسبة! مناسبة ثابتة في التجربة الانسانية بعظمتها الا وهي غياب حضور احد شعراء العالم الذين احتشدوا بالعالم واحتشد العالم بهم بهيبة متكاملة .

تتقدم الصفحات الثقافية بملف (اراغون) الذي توفر على انجازه الشاعر العراقي عبد الكريم الكاصد وتعد بنايمكنها من الانجاز على مستويات اخرى .. من خلالها تستكمل بعض مما يجب ان تقدم هذه الصفحات لقارئها اينما كان .

المحرر

أراغون الحاضر

عبد الكريم كاصد

«كتابة وترجمة»

الشاعر الذي يجمع الاضداد في ايقاع واحد

حين فقد اراغون الزا اخفى الاخرون اشفاقهم عليه ، ولم يتصوره احد بدون الزا

كان اراغون احد العشاق الكبار في هذا العصر حتى كاد ان ينتمي الى التاريخ .. الى العشاق القدامى وهو رجل الحاضر .

كان اخر عاشق في عصر انحطاط الراسمالية مبشرا بالمراة مستقبلا للرجل ، مدركا ان ليس ثمة حب سعيد وسط عذابات العالم .

لقد رفع مصباح حبه الصغير وسط مشاعل هذا العصر الهائلة فكان اقدر من غيره على رؤية الطريق الى الانسان .

صار حبه اللمسة التي يبدأ منها كل شيء ، الساعة التي تدق عند صدغه كما يقول في واحدة من قصائده «ان لم تنفسي اختنق» صار الحاضر الذي يمحو الماضي او كما يسميه الناقد الفرنسي «سيزان رافيس» الحاضر الممتد الذي هو خلق مستمر حيث المستقبل نفسه يصبح حاضرا حين يعلن العاشقان الانتصار القادم للاخاء البشري .

لعل في طفولة اراغون وماضيه البائس ما يفسر توقه الى الاخر .. وتشوقه الى الخلق

في عالم حاول ان يمحو حتى صوره اراغون الطفل والشاب ليظهره بمظهر البرجوازي الانيق الذي عاش طفولة سعيدة .. وهو

اراغون في مكتبه

الذي عاش عذابات الفقر وعانى كما يروي في احدى مقابلاته من عوز الحياة حتى فترة متاخرة من حياته .

ان رهافة روح اراغون لم تحول عينيه عن قساوة الواقع .. لقد قاده الواقع الى الحاضر كما قاده الحب ولكن ليس الى الحاضر بمعناه الفلسفي بل الحاضر السياسي .. الى الفعل السياسي الذي جعله واحدا من ابرز ابناء جيله تاثيرا في هذا العصر .. فكان الحزب الشيوعي بالنسبة اليه النار التي انبعث من رمادها كالعنقاء وتجسد فيه مصالحته مع الزمن وتوازنه في ديمومة الاحداث .

سلاما ايها الحزب يا عائلتي الجديدة

سلاما ايها الحزب يا ابي منذ الان

لقد سار اراغون من افقه الخاص الى افق الجميع ليعود الى ذاته وقد اغتنى بالاخرين بل ان اراغون لا يعود ابدا بل يذهب ان صح التعبير ومعه الاخرون .

ان انتقال اراغون من حدوده الذاتية ومن زمنه الخاص الى الزمن التاريخي جعله ينظر الى ماضيه نظرة اخرى اكثر غنى ورهافة .. نظرة ترى ما وراء البؤس لتكشف قانونه وسيرورته فكان لاراغون ان يجمع الاضداد — كما قال عنه الشاعر ريتوس — في ايقاع واحد .

من هنا تفسر صلابة هذا العاشق المرهف وحصافة تفكيره الثاقب .. هذه الحصافة التي جعلته بالاضافة الى كونه شاعرا وقاصا كبيرا ، وناقدا من الطراز الاول سياسيا لايتهاون مع رخاوة الاشياء .

يروي عنه الشاعر الفرنسي مارسيناك انه كان دقيقا في كل ما يتعلق بحياته وانضباطه الحزبيين بشكل يدعو الى الاستغراب وهو الشاعر الذي تمتلىء روحه بفليان عصره .. روحه التي لم يتركها هاجس السريالية وجذرها ابدا .

يسميه نيرودا الالة الالكترونية لشدة ما كانت تدهشه مثابرته على العمل المتواصل وكانه في سباق مع عصره المسرع .

ان حسه العميق بالمسؤولية ازاء مجتمعه وعصره وجدتيه الصارمة ازاء نفسه والاخرين لم تحولا دون ان يكون اخا كبيرا لاصدقائه ورفاقه من الكتاب والفنانين الذين كانوا لا يرون حتى في ملاحظاته الجارحة غيرحبه الانساني .

يروي بوجين غيلليفك الشاعر الفرنسي في كتابه «الحياة في الشعر» ان اراغون عنفه مرة لسلوك بدر منه في احد المؤتمرات الادبية قائلا له «اعرف يابوجين انك لم تتجاوز السادسة من عمرك ولكن الاتستطيع ان تبلغ سن الثانية عشرة» .

لم يجد اراغون في الشعر منزلة اسمى من الحياة لذلك جاء شعره نابضا بالحياة .. بدا بنار الفرح وانتهى برماد الموت .

لقد استطاع ان يكون امرآة عصره بعقلانيته الشديدة وهواه الجامح . كان خلاصة قرون غابرة وتوجها مشدودا الى المستقبل .

لم يكن متعاليا على التجربة .. بل دخل نارها المحرقة بحصافة نادرة هذه الحصافة التي علمت جيلين من الشعراء والكتاب ان يتطلعوا باعين جديدة الى التراث والحاضر .

لقد علم الاخرين كيف ينظرون الى فيكتور هيجو نظرة جديدة اخرى ليست هي نظرة المتطرفين ممن راوا في فيكتور هيجو شاعرا كلاسيكيا عاديا .

علمهم كيف ينظرون الى «لوتريامون» و«الفريد جاري» وغيرهم كرواد تجديد وليس كمهرجين .

كان من اوائل الذين انتبهوا الى كشوفات رامبو ولوتريامون في الشعر وباختصار علم الاخرين كيف ينظرون الى المقدسات نظرة اخرى .

حتى في ارائه المتطرفة كان يلمع ذهنه العاد . ان اراءه بريكله في كتابه الرائع «مسرح — رواية» وباندريه جيد رغم قساوتها فهي تعبر عن شخصية فذة في النظر الى الاشياء والاشخاص .

لا اقدر على تحمل الحقائق المعروفة فانا اضع الحقيقة ذاتها على المحك

لم يكن دوغماتيا او متزمتا اسير الشهرة الواسعة . كتب مقدمات لادباء في العشرين من عمرهم .. كتب مقدمة «السولر» حين «اهرق» العزلة الغربية» روايته الاولى . ان اراغون لم يفقد الخيط فهو رغم تجربته المذهلة بقي مخلصا كبيرا لتنوع الواقع وظواهره الفنية وشفه الشديد باللغة الصافية التي ينعكس فيها جوهر الواقع بصفائه المعبر عن ذهن الشاعر الطموح القادر على رصد الجزئيات دون الضياع للتفاصيل .

لقد اعاد اراغون وزملاؤه ايليوار وريفير شرف الموضوع للشعر وقدرته على الايصال الى اوسع الناس فاصبحوا بحق شعراء شيوعيين يتغنى بشعارهم محققين حلم رامبو ولوتريامون بان يصبح الشعر الخبز اليومي للناس .

كانت قصائدهم مناشير لم تفقد وهجها الشعري . ان معالجة الشعر والجمهور لم يلقه الا شعراء نادرون في هذا العصر .. كان من بينهم اراغون .. وهو لم يبلغ هذا الشاو الا لانه لم يكن متفرجا بل عانى التجربة واحترق بنارها .

ليس هو المقاتل في المواقع الامامية في العرب ؟ اليس هو الاسير الذي استطاع ان يفلت من يد الاعداء ؟ المناضل الذي كاد ان يتعرض هو والزا للموت مرات عديدة ابان الاحتلال الالماني لفرنسا ؟

الم يكن المحرك الاساسي للاتحاد الوطني للمثقفين اثناء المقاومة ؟ :

ان اراغون لا يختصره حديث .
سلام لاراغون الميت — الحي .

اراغون والتاريخ العربي

لعل حرب الجزائر هي احدى الدوافع الاساسية التي حدت باراغون لدراسة التاريخ العربي والتعمق فيه .. وقد كانت حصيلة هذا التجوال في التاريخ العربي ديوانه الرائع «مجنون الزا» ملحمته الغنائية عن سقوط غرناطة المدينة التي سحرته باناسها وعاداتها وفلسفتها ولاسيما شعرها الذي يراه مرتبطا حتى الوقت الحاضر بوشائج عديدة بالشعر العربي .

ان اراغون يذهب ابعد من ذلك ليؤكد ان الشعر الفرنسي نفسه وبالاخص شعر جنوبي فرنسا لا يخلو من تاثير الشعر العربي في اسبانيا . وبالنسبة اليه فانه لا يكتم تاثره الشديد بشعر التروبادور ذي الصلة الواضحة بشعرنا العربي ليس في الشكل ، بل وفي روحه ومضامينه ايضا ، ذلك انه ليس ثمة هوة بين الناس تفصلهم فهم متشابهون في سمات كثيرة ، وما اختلافهم الا اختلاف الديكور فقط . وما التعامل الذي يظهره الاوروبيون ازاء الحضارة العربية الا نوع من الجهل والافتراض . وهو يرى ان حرب الجزائر لم تكف كما يبدو لفهم هؤلاء الناس — يقصد الجزائريين — وعنادهم الا يكونوا فرنسيين .

وقد قادته دراساته المعمقة في تاريخ الاندلس الى كشوفات باهرة يختلف فيها مع كثير من المؤرخين في تفسيراتهم .. منها رده الاعتبار لابي عبد الله اخر ملوك الطوائف ، فهو يرى ان المؤرخين الاوروبيين ولا سيما الاسبان ممن عاصروا سقوط غرناطة قد تعاملوا عليه بسبب ولائهم للسلطة وصوروه كما لو انه شخصية كاريكتيرية عكس المؤرخين المعاصرين من الاسبان ك«مينيديز بيدال» الذي يتفق مع اراغون في تصويره لشخصية ابي عبد الله في «مجنون الزا» يقول اراغون : يسمون ابا عبد الله «الشيكو» اي الطفل او الفتى الصغير ، غير ان هذا الطفل كان في فترة حصار غرناطة رجلا في الحادية والعشرين من عمره ، ثم انه مات بعد اربعين سنة من سقوط غرناطة في عام ١٥٣٢ مقاتلا عن الاسلام حتى نهاية حياته عند سن السبعين ، وقد كان بامكانه الا يكون محاربا .. اي ان الوقائع هي عكس الصورة المعطاة . ان ابا عبد الله لا يشبه مطلقا هذا الفتى الصغير الضال الفارق في ملذاته كما صوره «باريس» .

ويرى اراغون ان باريس وشاتوبريان وواشنطون ايفرنج ليست لديهم اية فكرة اولية عن ابي عبد الله مدعما ذلك بحجج تاريخية دقيقة ، كما يرى ان رد الاعتبار هذا لابي عبد الله ليس عرفانا منه او تساهلا ، بل لان ابا عبد الله شخصية جذابة افترى عليها كثيرا ، فهو ملك كالاخرين يتعامل معه مثلما يتعامل مع اية شخصية اخرى في شعره او رواياته وبالتالي فانه لا يحمل ازاءه اي ضعف خاص .

ان الكاتب قد يتوحد قليلا أو كثيرا مع الشخصية التي يتحدث عنها وبالنسبة لابي عبد الله فليس ثمة جامع يجمعه به سوى نزعته في البحث عن الحقيقة التاريخية .. ويفضل اراغون من اجل ان يفهم جيدا وتفهم علاقته بابي عبد الله ان يقرأ النص التالي في ديوانه «مجنون الزا» الذي هو اشبه بخرافة حكمية :

«اذكر قصة لا علاقة لها بما انا في صدده ◄

استندنا في مقالتنا «اراغون والتاريخ العربي» الى كتاب «محاورات مع فرنسيس كريميو» الصادر في باريس عن دار غاليمار عام ١٩٦٤ .

حياته

«اهم الاحداث والمؤلفات» .

١٨٩٧ : ولادته .
١٩١٨ : يلتحق بالخدمات الطبية ويحصل على وسام صليب الحرب .
١٩١٩ : يسرح من الخدمة الاجبارية ، يشارك في تحرير مجلة ادب التي اسسها بريتون وسوبو وايليوار .
١٩٢٤ — يتعرف على الفلسفة الماركسية — ينشر بيانه السريالي» موجة الاحلام «قبل بيان بريتون .
١٩٢٧ : ينتسب الى الحزب الشيوعي مع سرياليين اخرين كبريتون وايليوار وسادول وبيزيه وبيافر الى غلناطة .
١٩٢٨ : يلتقي بما ياكوفسكي والزا تريوليه في مونتبارناس ينشر مقالة في الاسلوب .
١٩٣٠ — يسافر الى الاتحاد السوفيتي ، ويساهم في المؤتمر الثاني للكتاب الثوريين في خاركوف ، بداية القطيعة مع السرياليين .
١٩٣١ — رحلتان جديدتان الى الاتحاد السوفييتي من اجل نشر الادب الامعي بالفرنسية ينشر ديوان «مشهد مصطفد» تعرضه قصيدته «الجبهة الحمراء» للملاحقة من قبل السلطات الفرنسية .
١٩٣٣ : يعمل محررا في «الاومانيتيه» ينتخب عضوا في جمعية الادباء والفنانيين الثوريين .
١٩٣٤ : يحضر المؤتمر الاول للكتاب السوفييت .
١٩٣٧ — يشرف مع جان ريشار بلوخ على جريدة «هذا الحدهم» .
١٩٣٩ — يسافر الى الولايات المتحدة . تمنع جريدة هذا المساء من الصدور وتلاحقه السلطات مع غيره من الشيوعيين فيلجا الى سفارة شيلي .
١٩٤٠ — يجند في فوج العمال ثم ينقل الى وحدتطبية ويخترع طريقة لانقاذ جرحى الدبابات فيتلقى تهاني وزارة الدفاع . باسره الالمان فيهرب . يلتحق بالزا في مورتزون وبعد تسريحه من الجيش يشكل مع سيفرز مشاريع للمقاومة الثقافية .
١٩٤٢ — ينشر ديوان عيون الزا بروسيلياند ورواية مسافر والعربة الملكية .
١٩٤٣ — يقيم في ليون ويتابع العمل السري ضد النازيين ينشر ديوانين .
١٩٤٤ — يحرر من جديد «هذا المساء» .
١٩٤٥ — ١٩٤٦ — ينشر دواوينه عن المقاومة .
١٩٤٨ : يحرم من حقوقه المدنية لعشر سنوات بتهمة ترويج معلومات خطيرة في «هذا المساء» .
١٩٤٩ : ينشر الجزء الاول من روايته الهامة «الشيوعيون» ويساهم في تنظيم المؤتمر الدولي الاول للسلام .
١٩٥٤ : ينضم عضوا للجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي ينشر «فواغلي» العيون والذكرى ضوء سنتدال .
١٩٥٧ : يحصل على جائزة لينين للسلام .
١٩٥٨ : ينشر رواية «الاسبوع المقدس» .
١٩٥٩ : ينشر ديوان «الزا» ويترجم قصة جميلة لجنكيز ايتماتوف .
١٩٦٣ : ينشر ديوان مجنون الزا ومحاورات مع فرنسيس كريميو .
١٩٦٤ : الاعمال المشتركة الكاملة لالزا واراغون .
١٩٧٠ : موت الزا .
١٩٧٤ : ينشر كتابه الهام «مسرح /رواية» .
١٩٨١ : كتابات في الفن مجموعة قصصية بعنوان «الكذب بصدق» .
١٩٨٢ : ديوان «الوداع» .